



زاد الأئمة والخطباء رقم (٧٦)

الدليل الإرشادي لخطبة الجمعة

الأمن الفكري.. استقرار مجتمعي ووطني

٥ جمادى الأولى ١٤٤٨ هـ - ١٦ أكتوبر ٢٠٢٦ م

🕌 **الهدف المراد توصيله:** بيان مدى عناية الإسلام بتحقيق الأمن المجتمعي، وخاصةً ما يتعلق منه بالجانب العقلي والفكري، لما له من أثر عظيم في حماية المجتمع وسلامة واستقرار الوطن.

لمتابعة المزيد من خطبة الجمعة: <https://awkafoonline.gov.eg/friday-sermon>

لمتابعة المنصة الرسمية لوزارة الأوقاف: <https://awkafoonline.gov.eg>

الأمن الفكري.. استقرار مجتمعي ووطني

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه
واتبع هداه، أما بعد:

فإن من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان نعمة الأمن، فهي إحدى الركائز الأساسية لاستقرار المجتمعات وازدهارها، ولا يقتصر مفهوم الأمن على حماية الأنفس والأموال والأوطان، بل يمتد ليشمل حماية العقول من التضليل والانحراف، وصيانة المجتمع من الغلو والتطرف والشائعات والأفكار الهدامة؛ ومن هنا تبرز أهمية الأمن الفكري بوصفه أساسًا للوعي الرشيد والاستقرار المجتمعي، وهو ما يتطلب ترسيخ الفهم الصحيح للدين، وتعزيز الوسطية والاعتدال، والتثبت من الأخبار، ونشر ثقافة الحوار واحترام الاختلاف، وحماية الشباب من الاستقطاب، وتكامل مسؤوليات الأسرة والمؤسسات، وترشيد التعامل مع المحتوى الرقمي، وتعزيز الانتماء الوطني، وتنمية مسؤولية الفرد في نشر الوعي ومواجهة الانحراف؛ وهي محاور تتكامل فيما بينها لتحقيق الأمن الفكري وحماية المجتمع، وإليك بيانها:

الأمن أعظم نعم الله

ولم لا يكون الأمن أعظم نعم الله، وبه يُعبد الله في أرضه، وبه تحفظ الدماء أن تراق، وبه تصان الأعراض أن تُنتهك، والأموال أن تُسلب، والأرض أن

تغضب، وهكذا كل عبادة مردها في الأساس إلى نعمة الأمن، ولذا قدمها السياق القرآني على طلب الرزق والمنافع المادية، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فإبراهيم عليه السلام جمع في دعائه بين الأمن الشامل لحفظ الأنفس والأموال والأعراض وبين الأمن الخاص وهو تحقيق العبودية التامة لله رب العالمين.

قال الفخر الرازي: (وإنما قال: ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ على التنكير، وقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ على التعريف لوجهين: الأول: أن الدعوة الأولى وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلدًا، كأنه قال: اجعل هذا الوادي بلدًا آمنًا، والدعوة الثانية وقعت وقد جعل بلدًا، فكأنه قال: اجعل هذا المكان الذي صيرته بلدًا ذا أمن وسلامة. الثاني: أن تكون الدعوتان وقعتا بعد ما صار المكان بلدًا، وهذا إنما تذكره للمبالغة في وصفه بالحرارة؛ لأن التنكير يدل على المبالغة، فقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ معناه: اجعله من البلدان الكاملة في الأمن، وأما قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ فليس فيه إلا طلب الأمن لا طلب المبالغة [مفاتيح الغيب].

وعن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحْصَنِ الْخَطَمِيِّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» [رواه الترمذي وابن ماجه].

قال المُنَاوِي: (يعني: من جمع الله له بين عافية بدنه وأمن قلبه حيث توجه وكفاف عيشه بقوت يومه وسلامة أهله فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها؛ فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها بأن يصرفها في طاعة المنعم لا في معصية ولا يفتّر عن ذكره، «فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» أي: فكأنما أعطي الدنيا بأسرها) [فيض القدير].

وقد امتن الله سبحانه على قريش بنعمة الأمن فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أََرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجَيِّئَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧].

قال القرطبي: (أي ذا أمن؛ وذلك أن العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضًا، وأهل مكة آمنون حيث كانوا بحرمة الحرم، فأخبر أنه قد أمنهم بحرمة البيت، ومنع عنهم عدوهم، فلا يخافون أن تستحل العرب حرمة في قتالهم، قال يحيى بن سلام يقول: "كنتم آمنين في حرمي، تأكلون رزقي، وتعبدون غيري، أفتخافون إذا عبدتموني وآمنتم بي") [الجامع].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ

﴿خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤].

قال أبو حيان: (فضلهم على العرب بكونهم يأمنون حيث ما حلوا، فيقال: هؤلاء قطان بيت الله، فلا يتعرض إليهم أحد، وغيرهم خائفون، والتنكير في ﴿خَوْفٍ﴾ لشدة، يعني آمنهم من خوف عظيم، وهو خوف أصحاب الفيل، أو خوف التخطُّف في بلدهم ومسائرهم) [البحر المحيط].

كما حذرنا الله من كفران النعم - ومنها: "نعمة الأمن" - بعدما يعطاها

الإنسان فلا يؤدي شكرها بأن يسخرها في الطاعة فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ

مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ

فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

قال الزمخشري: (يجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة، وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها، فضربها الله مثلاً لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف؛ لأن الطمأنينة مع الأمن، والانزعاج والقلق مع الخوف) [الكشاف].

وجعل الله الأمن قريناً لأهل الإيمان في الدنيا والآخرة إن هم حققوا الإيمان

على الوجه الأكمل؛ فقال سبحانه: ﴿وَلْيَبْدِلْهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا

يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا ۚ [النور: ٥٥].

قال ابن عاشور: (وإنما قال: ﴿وَلَيَبْدِلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ ولم يقل: "وليؤمننهم" كما قال في سابقه؛ لأنهم ما كانوا يطمحون يومئذ إلا إلى الأمن، فكانوا في حالة هي ضد الأمن ولو أعطوا الأمن دون أن يكونوا في حالة خوف لكان الأمن منة واحدة.

والمقصود: الأمن من أعدائهم المشركين والمنافقين، وليس هذا الوعد بمقتضى أن لا تحدث حوادث خوف في الأمة في بعض الأقطار، وإنما كانت تلك المخاوف مسببات عن أسباب بشرية) [ينظر: التحرير والتنوير].

مفهوم الأمن الفكري

يتمثل الأمن الفكري في سلامة فكر الإنسان من الانحراف والاضطراب، وحماية عقيدته من الشبهات المضللة، وعقله من الأفكار الهدامة، ووعيه من الغلو والتطرف، بما يحقق له الطمأنينة على ثوابته الدينية والأخلاقية والوطنية، ولا يتحقق هذا الأمن إلا بفكر يستنير بالوحي، ويستند إلى العلم والبصيرة، ويتحرر من أسر الهوى والتعصب، ويزن الأفكار بميزان الحق، بعيداً عن الأهواء التي تضلل العقول وتفرق الصفوف. وقد دلّ القرآن الكريم على الصلة بين الإيمان الصحيح والأمن والهداية، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ

يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

كما حذر من سلوك السبل التي تفضي إلى التفرق والانحراف، فقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ونهى عن اتباع الهوى لما يترتب عليه من الضلال، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وقد أرشد النبي ﷺ إلى التمسك بأصول الهداية ومصادرها الصحيحة، فقال: «أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ» [رواه أبو داود].

كما قرر قاعدة ردّ ما يخالف أصول الدين بقوله ﷺ: «مَنْ أَخَذَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» [متفق عليه].

ومن ثم، فإن الأمن الفكري كما يهدف إلى الوقاية من الأفكار المنحرفة، فإنه يهدف كذلك إلى بناء الوعي الصحيح، وترسيخ الفهم السليم للدين، وتحرير العقل من أسر الأهواء، بما يحفظ للإنسان استقامته، وللمجتمع وحدته وتماسكه، ويصونه من أسباب الفتنة والاضطراب.

الوسطية والاعتدال أساس الأمن الفكري

تعدّ الوسطية والاعتدال من أهم الأسس التي يقوم عليها الأمن الفكري؛

فبهما يستقيم فهم الإنسان لدينه، ويتوازن فكره وسلوكه، ويسلم من الغلو والتشدد كما يسلم من التفريط والانحلال، وقد أقام الإسلام منهجه على الاعتدال الذي يضع الأمور في مواضعها، ويمنح كل ذي حق حقه، ويوازن بين الحقوق والواجبات، دون إفراط يجاوز حدود الشرع، أو تفريط يخل بمقاصده. والوسطية التزام بالحق في فهمه الصحيح، ووعي بمقاصد الشريعة، وبُعد عن الأهواء التي تدفع إلى التشدد أو الانحراف.

وقد بين القرآن الكريم مكانة الاعتدال في بناء الأمة، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وحذّر من الغلو الذي يخرج بالدين عن مقصده، فقال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ [المائدة: ٧٧]، كما أرسى القرآن مبدأ التوازن في شؤون الحياة، فنهى عن الإسراف والتقتير، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقرّر أن اليسر ورفع الحرج من مقاصد التشريع، فقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأكدت السنة النبوية هذه المعاني، فحذّر النبي ﷺ من الغلو بقوله: «إِيَّاكُمْ

وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ» [رواه النسائي]،
وقال ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» [رواه مسلم].

ومن هنا، فإن ترسيخ الوسطية والاعتدال يُعدُّ تحصيناً للفكر من الانحراف،
ووقاية للمجتمع من التطرف والتعصب، وإسهاماً في نشر ثقافة التسامح
والتوازن، كما يمنع توظيف الدين لتبرير التشدد أو العدوان، فالأمن الفكري
لا يتحقق بالغلو ولا بالتفريط، وإنما يتحقق بفهم صحيح يلتزم بالثوابت،
ويراعي المقاصد، ويجمع بين الاستقامة والرحمة، وبين التمسك بالحق
وحسن التعامل مع الخلق.

الثبت من الأخبار ومحاربة الشائعات

يُعدُّ الثبوت من الأخبار من أهم دعائم الأمن الفكري، ووسائل حماية
المجتمع من التضليل والاضطراب؛ إذ قد تتحول الكلمة التي تُنقل بغير تحقق
إلى شرارة تشعل الفتنة، أو وسيلة لتشويه السمعة، أو سبب لزعزعة الثقة بين
الناس ومؤسساتهم، وقد أصبحت الشائعات أكثر خطورة مع سرعة تداول
المعلومات عبر وسائل التواصل الاجتماعي، حيث تنتشر الأخبار أحياناً قبل
التحقق من صحتها، وتُقتطع الوقائع من سياقاتها، وتُروج الادعاءات حتى
يظنها الناس حقائق ثابتة، ومن هنا، جاءت الشريعة الإسلامية لتؤسس منهجاً
راسخاً في التعامل مع الأخبار، قوامه الثبوت، وإعمال العقل، وحسن الظن
بالمؤمنين، والرجوع إلى أهل الاختصاص، وتحمل المسؤولية عن كل ما يُقال

أو يُنشر.

وقد أمر القرآن الكريم بالتثبت من الأخبار قبل بناء المواقف عليها، فقال

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِبْحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

كما وجّه إلى رد الأخبار المتعلقة بالأمن والخوف إلى أهل العلم

والاختصاص والجهات المعنية، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ

أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، وحذّر سبحانه من

الاستهانة بتداول الأخبار التي لا تستند إلى علم، فقال تعالى في سياق حادثة

الإفك: ﴿إِذْ تَقَّوْنَهُ بِالْأَسْنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ

هَيْنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ

بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وأكدت السنة النبوية خطورة نقل الأخبار دون تمحيص، فقال النبي ﷺ:

«كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» [رواه مسلم]، وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ

وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ» [متفق عليه]، كما حذّر من الاستهانة

بالكلمة وعواقبها، فقال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا

بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» [رواه البخاري]، وأرشد إلى ضبط اللسان بقوله ﷺ:

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» [متفق عليه].

ومن ثمَّ، فإن مواجهة الشائعات مسؤولية دينية وأخلاقية ومجتمعية، تبدأ بالتحقق من مصادر المعلومات، وعدم إعادة نشر ما لم تثبت صحته، وتجنب الخوض في الأعراس، والابتعاد عن التسرع في إصدار الأحكام، ولا سيما فيما يتعلق بأمن المجتمع وسمعة الأفراد والمؤسسات، فليس كل ما يُسمع جديرًا بالنقل، ولا كل ما يُنشر صالحًا للتصديق، وإنما يكون الإنسان الواعي حارسًا للحقيقة، لا ناقلًا للتضليل، وشريكًا في حماية مجتمعه من الفتن والاضطراب.

من معالم الأمن الفكري: ﴿فَسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾

يُعَدُّ سؤال أهل الذكر من أهم دعائم الأمن الفكري؛ إذ يحمي العقول من الجهل وسوء الفهم، ويقي المجتمع من الفتاوى المنحرفة والتفسيرات المغلوطة للنصوص، ويُعين الإنسان على التمييز بين الحق والباطل، وبين الفهم الرشيد والتأويل الذي تحكمه الأهواء؛ ومن هنا، أكدت الشريعة مكانة العلم وأهله، ودعت إلى الرجوع إلى العلماء الراسخين فيما يشكل من أمور الدين، وحذرت من القول على الله بغير علم، أو تصدر غير المؤهلين للفتوى والتوجيه؛ فليس كل من تكلم في الدين امتلك أدوات فهمه، ولا كل من رفع شعار الإصلاح كان قوله قائمًا على العلم والبصيرة.

وقد وجَّه القرآن الكريم إلى الرجوع إلى أهل العلم عند الجهل، فقال تعالى:

﴿فَسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وبَيَّن فضل العلماء ورفعة

منزلتهم، فقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

[المجادلة: ١١]، كما أشار إلى أهمية التخصص والتفقه في الدين، فقال

سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ

لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وفي المقابل، حذَّر من إصدار الأحكام

الشرعية بغير علم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ

وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦].

وأكدت السنة النبوية هذه المعاني، فبيَّن النبي ﷺ أن الفقه في الدين علامة

خير، فقال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» [متفق عليه]، وحذَّر من تصدر

الجهال للفتوى وما يترتب عليه من إضلال الناس، فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ

الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ

يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»

[متفق عليه].

ومن ثمَّ، فإن تعزيز الأمن الفكري يقتضي نشر العلم وتيسير الرجوع إلى

العلماء الموثوقين المعروفين بالعلم والاعتدال، واحترام التخصص، وعدم

تلقي الأحكام الدينية من مصادر مجهولة، أو من خلال منصات وحسابات إعلامية رقمية غير مسؤولة، مع تنمية الوعي الذي يمكن الإنسان من التمييز بين النص الشرعي وفهمه، وبين الفتوى المعتبرة والرأي الشخصي، كما ينبغي أن تقوم العلاقة بالعلماء على التقدير الواعي، لا على العصمة من الخطأ أو التقليد الأعمى؛ فالعلماء يُرجع إليهم لما يمتلكونه من علم وأهلية، وتُعرف مكانتهم بما يقدمونه من بيان مؤصل وحجة معتبرة؛ وبهذا تتعزز الثقة بالعلم الشرعي، وتُسدُّ أبواب التضليل، ويُحمى المجتمع من فوضى الفتاوى والتأويلات المنحرفة.

الأمن الفكري في البيئة الرقمية ومواجهة التطرف الإلكتروني

أصبح الأمن الفكري في عصر الانفتاح الإعلامي والتواصل الرقمي ضرورةً لحماية هوية المجتمع وثوابته، وصيانة عقول أفرادهِ من التضليل والاستلاب الفكري. فالتواصل مع الثقافات المختلفة والانفتاح على معارف الآخرين ليس خطرًا في ذاته، بل قد يكون سبيلًا إلى تبادل الخبرات والاستفادة من التجارب الإنسانية؛ وإنما تكمن الخطورة في تلقي الأفكار دون وعي أو تمحيص، أو تقليد الآخرين تقليدًا أعمى، أو تمرير المفاهيم الهدامة في صورة الترفيه أو التقدم أو الحرية، وقد زادت وسائل التواصل من سرعة انتشار الأفكار والاتجاهات، وأتاحت لغير المتخصصين التأثير في وعي الناس وتصوراتهم؛ مما يجعل بناء العقل الناقد، وتعزيز الثقة بالهوية، والتمييز بين ما

يُتَنَفَّعُ بِهِ وَمَا يَتَعَارَضُ مَعَ الْقِيَمِ وَالثَّوَابِ، مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ تَحْقِيقِ الْأَمْنِ الْفِكْرِيِّ.

وقد أُرْشِدَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى الْمَنْهَجِ الرَّشِيدِ فِي تَلْقِي الْأَفْكَارِ وَتَمْيِيزِ صَحِيحِهَا مِنْ سَقِيمِهَا، فَأَتْنَى عَلَى أَصْحَابِ الْبَصِيرَةِ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ إِلَى الْأَقْوَالِ وَيَمَيِّزُونَ بَيْنَهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ^ج وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨]، وَنَهَى عَنْ اتِّبَاعِ مَا لَا يَقُومُ عَلَى عِلْمٍ أَوْ دَلِيلٍ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ^ج إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. كَمَا حَذَّرَ مِنَ التَّأَثُّرِ بِمَا يَصْرَفُ عَنِ الْحَقِّ وَيُزَيِّنُ الْبَاطِلَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ^ج لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وَأَرَشَدَ إِلَى الْإِعْرَاضِ عَنْ مَجَالِسِ الْإِسْتِهْزَاءِ بِآيَاتِ اللَّهِ وَالْخَوْضِ فِيهَا بِغَيْرِ حَقٍّ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ^ج﴾ [الأنعام: ٦٨]. وَهَذِهِ التَّوْجِيهَاتُ تَوْسِسُ لَوْعِي يَحْسِنُ الْإِسْتِمَاعَ، وَيَمَارِسُ النِّقْدَ، وَلَا يَنْسَاقُ وَرَاءَ كُلِّ مَا يُعْرَضُ عَلَيْهِ أَوْ يُرَوِّجُ لَهُ.

وَأَكَّدَتِ السَّنَةُ النَّبَوِيَّةُ ضَرُورَةَ اسْتِقْلَالِ الشَّخْصِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ عَنِ التَّقْلِيدِ الْأَعْمَى، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا،

وَأِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا» [رواه الترمذي]، كما حذر ﷺ من تقليد الأمم الأخرى في كل ما تأتیه دون تمييز، فقال: «لَتَبْعَنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ» [متفق عليه]، ونبه إلى خطورة الفتن التي تتسلل إلى القلوب تدريجيًا، فقال ﷺ: «تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا» [رواه مسلم]، وحثَّ على المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن تتفاقم الفتن وتضطرب المعايير، فقال ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ» [رواه مسلم].

وهذه النصوص لا تعني الانغلاق عن العالم أو رفض كل ما يأتي من خارجه، بقدر ما تعني امتلاك الوعي الذي يمكّن من الانتفاع بالمعارف والتجارب النافعة، مع الحفاظ على الهوية الدينية والقيم الأخلاقية، والتمييز بين التقدم الحقيقي وما يُروَّج باسم التقدم من أفكار وسلوكيات ضارة.

كما أن التعامل الواعي مع وسائل التواصل يقتضي التحقق من المحتوى قبل تصديقه أو نشره، وعدم الانسياق وراء الحسابات المجهولة أو المؤثرين غير المؤهلين، وتجنب المحتوى الذي يثير الكراهية أو يطعن في الثوابت دون علم، مع استثمار هذه الوسائل في نشر المعرفة والحوار البناء وتعزيز القيم الإيجابية.

ومن ثمَّ، فإن تحصين المجتمع من مخاطر التأثير الرقمي يبدأ ببناء شخصية

واعية، واثقة بدينها وهويتها، منفتحة على المعرفة النافعة، قادرة على التمييز والنقد، لا تستسلم للتقليد ولا تنساق وراء الإثارة والشعارات، فالأمن الفكري لا يتحقق بمنع التواصل مع الآخرين، بل بإعداد الإنسان ليحسن الاختيار، ويميز بين ما يبني فكره وما يضلله، ويجعل من وسائل التواصل أداةً للوعي والإصلاح، لا مدخلًا للتبعية والاضطراب.

حماية الشباب من الاستقطاب الفكري والاستغلال

يُعَدُّ الشباب من أهم الفئات التي ينبغي أن تتضافر الجهود لحمايتها فكريًا؛ فهم طاقة المجتمع المتجددة، وبناء مستقبله، وتمتاز هذه المرحلة العمرية بتطلع الإنسان إلى اكتشاف هويته، والبحث عن المعنى، والرغبة في إثبات الذات وتحقيق الانتماء، وقد يستغل أصحاب الأفكار المنحرفة هذه الحاجات لبث الكراهية، وتزييف الوعي، واستدراج الشباب للانخراط ضمن جماعات متطرفة أو اتجاهات هدامة، مستغلين قلة الخبرة أو الشعور بالتهميش أو الرغبة في التميز. ومن هنا، فإن حماية الشباب لا تتحقق بمجرد التحذير من الأفكار المنحرفة، بل تقتضي بناء وعيهم، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، وإتاحة الفرص أمامهم للمشاركة الإيجابية، والاستماع إلى تساؤلاتهم، وفتح أبواب الحوار أمامهم، حتى يجدوا في مؤسسات المجتمع ما يلبي حاجاتهم إلى المعرفة والانتماء وتحقيق الذات.

وقد دعا القرآن الكريم إلى إقامة مجتمع يتعاون أفرادُه على الخير، ويقومون

بواجب التوجيه والإصلاح، فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، كما قدّم القرآن نموذجاً تربوياً بليغاً في وصايا لقمان لابنه، جمع فيه بين ترسيخ العقيدة، وتوجيه السلوك، وتنمية الشعور بالمسؤولية، فقال تعالى: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وأكدت السنة النبوية أن رعاية الأجيال مسؤولية مشتركة لا يجوز التفريط فيها، فقال رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» [متفق عليه] ويشمل ذلك مسؤولية الأسرة في التربية والاحتواء، والمؤسسات التعليمية في تنمية التفكير الناقد، والمؤسسات الدينية في ترسيخ الفهم الصحيح للدين، والمؤسسات الثقافية والإعلامية في تقديم خطاب واعٍ يجذب الشباب إلى المعرفة والعمل والبناء، ويحصّنهم من التضليل والاستغلال.

ومن ثمّ، فإن حماية الشباب من الاستقطاب الفكري تقتضي إجراءات عملية، من أبرزها: تعزيز الحوار داخل الأسرة والمؤسسات التعليمية، وإتاحة المجال للشباب للتعبير عن تساؤلاتهم ومناقشة ما يعرض لهم من أفكار، وتنمية قدرتهم على التحقق من المعلومات ونقد الخطابات المتطرفة، وتوفير أنشطة علمية وثقافية وتطوعية تستوعب طاقاتهم، وإشراكهم في المبادرات

المجتمعية التي تعزز شعورهم بالمسؤولية والانتماء.

كما ينبغي التعامل مع الأخطاء الفكرية بالحكمة والتدرج، والتمييز بين صاحب السؤال الباحث عن الفهم، ومن يعتمد نشر التحريض والكراهية؛ فالتوبيخ والإقصاء وحدهما قد يدفعان بعض الشباب إلى مزيد من العزلة، بينما يسهم العلم والحوار والاحتواء في بناء الثقة وتصحيح المفاهيم. وبذلك تتحول حماية الشباب من مجرد مواجهة للأفكار المنحرفة إلى مشروع متكامل لبناء الإنسان الواعي، القادر على صيانة فكره، وخدمة مجتمعه، والإسهام في استقرار وتقدم وطنه.

مسئولية الأسرة والمؤسسات التعليمية والدينية والإعلامية عن الأمن

الفكري

لا يتحقق الأمن الفكري بمجرد التحذير من الأفكار المنحرفة أو مواجهة آثارها بعد انتشارها، بل يحتاج إلى منظومة متكاملة من التربية والتوجيه والتوعية، تبدأ من الأسرة، وتمتد إلى المدرسة والجامعة ودور العبادة والمؤسسات الثقافية والإعلامية وسائر مؤسسات المجتمع، فالفكر السليم يُبنى بالعلم والحوار، وتصحيح المفاهيم، وتنمية القدرة على التمييز والنقد، وتوفير بيئة تساعد الإنسان على السؤال والفهم واتخاذ المواقف على بصيرة. ومن هنا، فإن حماية العقول مسؤولية مشتركة، تتطلب تنسيق الجهود وتكامل الأدوار، حتى لا يجد أصحاب الأفكار المنحرفة فراغاً تربوياً أو معرفياً

يستغلونه في التأثير على الأفراد واستقطابهم.

وقد قرر القرآن الكريم مسؤولية الإنسان عن رعاية أسرته وتوجيهها، فقال

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦]، وهي دعوة

إلى التربية الواعية التي تجمع بين التعليم والتوجيه والقدوة الحسنة. كما دعا

إلى التعاون على ما يصلح الفرد والمجتمع، فقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ

وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. ويؤسس هذان التوجهان

لضرورة تضافر الجهود في بناء الوعي، بحيث تؤدي كل مؤسسة دورها في نشر

المعرفة الصحيحة، ومواجهة التضليل، وتعزيز القيم التي تحفظ للإنسان دينه

وكرامته، وللمجتمع وحدته واستقراره.

وأكدت السنة النبوية أن الرعاية أمانة ومسؤولية يُسأل عنها الإنسان، فقال

رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» [متفق عليه]. كما حذر

من التفريط في هذه الأمانة، فقال ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ

يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» [متفق عليه]، وتدل هذه

النصوص على أن المسؤولية لا تقتصر على توفير الاحتياجات المادية، بل

تشمل الرعاية الفكرية والتربوية، وحماية الناشئة من التضليل، وتقديم النصح

والتوجيه على أساس من العلم والرحمة والحكمة.

وتتجلى هذه المسؤولية في أدوار متكاملة؛ فالأسرة تغرس القيم، وتفتح

أبواب الحوار، وتتابع ما يتعرض له الأبناء من أفكار ومؤثرات دون تجسس أو تضيق يفسد الثقة بينهم، والمؤسسات التعليمية تنمي التفكير الناقد، وتدريب الطلاب على البحث والتحقيق، وتتيح لهم مناقشة القضايا بموضوعية. ودور العبادة والمؤسسات الدينية تقدم الفهم الصحيح للنصوص، وتواجه الغلو والانحراف بالحجة والبيان، وتيسر الرجوع إلى العلماء المؤهلين. أما المؤسسات الإعلامية والثقافية، فعليها تحري الدقة، ومقاومة الشائعات وخطاب الكراهية، وتقديم محتوى يعزز الوعي والمسؤولية، بدلاً من استغلال مخاوف الناس أو إثارة الانقسامات بينهم.

ومن ثمّ، فإن بناء الأمن الفكري يقتضي الانتقال من الجهود المتفرقة إلى العمل المؤسسي المتكامل، من خلال تبادل الخبرات، وتوحيد الرسائل التوعوية، ورصد المشكلات الفكرية ومعالجتها مبكراً، وتدريب القائمين على التربية والتعليم والإعلام على الحوار والتعامل الحكيم مع التساؤلات والانحرافات، كما ينبغي أن تقوم هذه الجهود على الجمع بين الوقاية والعلاج، وبين وضوح المبادئ واحترام الإنسان، وألا تتحول حماية الفكر إلى تضيق على السؤال أو مصادرة للاختلاف المعتبر، فالمجتمع الآمن فكرياً هو الذي تتعاون مؤسساته على بناء إنسان واعٍ، يمتلك المعرفة والبصيرة، ويستطيع مواجهة الأفكار المضللة بالحجة، والإسهام في نهضة مجتمعه واستقراره.

صيانة وحدة المجتمع وتعزيز ثقافة الحوار

تُعَدُّ وحدة المجتمع وتماسكه من أبرز ثمار الأمن الفكري؛ إذ يحول دون تحوُّل الاختلاف في الآراء والاجتهادات إلى خصومات تمزق الروابط، وتغذي الكراهية، وتدفع إلى تبادل الاتهامات والنيل من كرامة الآخرين. فاختلاف الناس في أفكارهم واجتهاداتهم أمر لا تنفك عنه الحياة الإنسانية، وليس الخطر في وجود الاختلاف ذاته، وإنما في إدارته بغير علم أو عدل، وتحويله إلى تعصب وإقصاء وتنازع؛ ومن هنا، تبرز أهمية ترسيخ ثقافة الحوار القائم على الحكمة وحسن الاستماع واحترام الكرامة الإنسانية، والتمييز بين نقد الفكرة والإساءة إلى صاحبها، والبحث عن المشتركات التي تجمع أفراد المجتمع، مع حفظ حق الاختلاف في المسائل التي تحتل الاجتهاد، والالتزام بالثوابت والقيم التي تصون وحدته واستقراره.

وقد دعا القرآن الكريم إلى الاعتصام بأسباب الوحدة ونبذ الفرقة، فقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وجعل الحكمة وحسن الخطاب أصلاً في الدعوة والتواصل، فقال سبحانه: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. كما قرر مبدأ العدل مع المخالف، ونهى عن أن يحمل العداء الإنسان على الجور، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَىٰ ط [المائدة: ٨]، وتؤكد هذه التوجيهات أن الاختلاف لا يبيح الظلم، وأن الحوار لا يستقيم بالتعصب أو الانتقاص، بل بالإنصاف والاحتكام إلى الحجة والحرص على الوصول إلى الحق.

وعزّزت السنة النبوية هذه المعاني بتأكيد حرمة المسلم ووجوب صيانة كرامته، فقال رسول الله ﷺ: **«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ»** [رواه مسلم] فهذا التوجيه النبوي يؤسس لعلاقة اجتماعية تقوم على الاحترام والتكافل، ويمنع أن يتحول الاختلاف إلى مبرر للظلم أو التحقير أو التخلي عن الحقوق. كما يقتضي أن يلتزم المتحاور بأدب الخلاف، فيعرض رأيه بالحجة، ويستمع إلى غيره بإنصاف، ويتجنب التشهير والسخرية والتحريض، ولا يجعل الانتصار للنفس مقدماً على ظهور الحق.

ومن ثمّ، فإن صيانة وحدة المجتمع وتعزيز ثقافة الحوار يقتضيان نشر آداب الاختلاف في الأسرة والمدرسة والمؤسسات الدينية والثقافية والإعلامية، وتدريب الأفراد على إدارة النقاش بهدوء، والتمييز بين الخلاف الفكري المشروع والعداوة الشخصية، ومواجهة خطاب الكراهية والتحريض، ولا سيما عبر وسائل التواصل الاجتماعي. كما ينبغي تشجيع المبادرات التي تجمع فئات المجتمع حول مصالحه المشتركة، وتؤكد أن التنوع في الآراء لا يلغي واجب التعاون، وأن الاختلاف لا يسقط الحقوق ولا يبرر الاعتداء على

الكرامات؛ وبهذا يصبح الحوار وسيلةً لتصحيح الأفكار وتقريب وجهات النظر، ويغدو الأمن الفكري حصناً لوحدة المجتمع، وركيزةً لاستقراره وقدرته على مواجهة التحديات.

الأمن الفكري وحماية الوطن واستقرار المجتمع

الأمن الفكري ركيزة أساسية من ركائز الأمن المجتمعي، وحين تتحول الاختلافات إلى خصومات، وتُستغل الخلافات لإثارة الكراهية، وتنتشر الأخبار المضللة دون تثبت، تتراجع الثقة، وتضعف الروابط الاجتماعية، ويصبح المجتمع أكثر عرضةً للاضطراب والانقسام؛ ومن هنا، فإن حماية الفكر بناءً للوعي، ومواجهةً للتضليل والعنف، وترسيخاً للانتماء الإيجابي الذي يجمع بين الاعتزاز بالوطن، والقيام بمسؤولياته، واحترام حقوق أبنائه. وقد حذّر القرآن الكريم من التنازع الذي يفضي إلى الضعف وفقدان القوة، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَزْعُورُوا فَتُفْسِلُوا وَتَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وفي ذلك تنبيهٌ إلى أن تماسك المجتمع ليس أمراً ثانوياً، بل ضرورة لحفظ قوته وقدرته على مواجهة التحديات، وأن إثارة الفرقة وإشعال العداوات يبددان ما يملكه من أسباب القوة والاستقرار.

ومن ثمّ، فإن حماية الوطن واستقرار المجتمع تقتضي نشر الوعي الذي يرفض التعصب الأعمى، ويميز بين الاختلاف المشروع والتحريض الهدام،

وبين النقد المسؤول وإشاعة الفوضى، كما تقتضي مواجهة الشائعات بالحقيقة، والأفكار المنحرفة بالعلم والحجة، وخطاب الكراهية بقيم العدل والاحترام. فالأمن الفكري لا ينفصل عن المسؤولية الوطنية، والانتماء الصادق لا يُقاس بالشعارات وحدها، بل يظهر في صيانة وحدة المجتمع، واحترام مؤسساته، والمحافظة على مصالحه، والإسهام في تقدمه، والحرص على أن يظل الاختلاف سبيلاً للتفاهم والتكامل، لا مدخلاً للعداء والانقسام.

ثمرات الأمن الفكري وأثره في المجتمع

يُعَدُّ الأمن الفكري أساساً مهماً لاستقرار المجتمع وتقدمه؛ إذ يحمي العقول من الانحراف، ويعزز التماسك الاجتماعي، ويهيئ بيئة يسودها التعاون والثقة واحترام الحقوق، فتتجه طاقات الأفراد إلى البناء والإنتاج بدلاً من الصراع والانقسام، ومن أهم ثمرات الأمن الفكري:

أولاً: تحقيق الأمن والطمأنينة، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ

ءَامِنَةً مَّتَمِّنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النحل: ١١٢]، وقال النبي ﷺ:

«مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا

حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» [رواه الترمذي]، والأمن الفكري يحمي المجتمع من الفتن

التي تهدد طمأنينته واستقراره.

ثانياً: تعزيز التماسك الاجتماعي، يسهم الأمن الفكري في نشر ثقافة التعاون

والتسامح، والحد من التعصب والكراهية، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقال رسول الله ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» [متفق عليه]؛ فسلامة الفكر تدفع إلى احترام الآخرين وصيانة حقوقهم، وتجعل من الاختلاف سبيلاً للتفاهم لا التنازع.

ثالثاً: تحقيق التنمية والازدهار، تساعد الطمأنينة والاستقرار على ازدهار العلم والعمل والإنتاج، وتوجيه الطاقات إلى ما ينفع المجتمع. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]. كما قال النبي ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصُّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» [رواه البخاري]، وفيه تنبيه إلى أهمية استثمار النعم فيما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

رابعاً: حماية العقل وصيانة الحقوق، يُنمّي الأمن الفكري قدرة الإنسان على التمييز بين الحق والباطل، ومواجهة التضليل، ويعزز احترام كرامة الإنسان وحقوقه، وقد حرمت الشريعة كل ما يفسد العقل، قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، في سياق النهي عن الخمر والميسر. كما قررت قاعدة منع الضرر بقول النبي ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»، فالفكر السليم لا يبرر العدوان، ولا يجعل الاختلاف ذريعةً لانتهاك الحقوق.

خامساً: ترسيخ الانتماء الإيجابي ومواجهة الفتن، يعزز الأمن الفكري

الانتماء الواعي للدين والوطن، ويحصّن المجتمع من الشائعات والتحريض وإثارة الانقسامات، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠]، ويتحقق الانتماء الصادق بالمشاركة في الإصلاح، واحترام الحقوق، والمحافظة على المصالح العامة، والنقد المسؤول الذي يقصد البناء لا الهدم.

دور الفرد في تحقيق الأمن الفكري ونشر الوعي

لا تتحقق حماية الفكر بجهود المؤسسات وحدها، مهما بلغت أهميتها؛ فالفرد شريك أصيل في بناء الوعي العام، وكلما تحلّى بالعلم والتثبت وحسن التقدير، أسهم في حماية مجتمعه من التضليل والاضطراب. وتبدأ هذه المسؤولية من مراجعة الإنسان لأفكاره ومصادر معلوماته، وحرصه على التمييز بين الحقيقة والشائعة، وبين الرأي القائم على الدليل والدعوى التي تفتقر إلى البرهان، كما تظهر في ضبط اللسان والقلم، واحترام المخالف، والامتناع عن نشر ما يثير الكراهية أو يحرض على العنف، والمبادرة إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة بالحكمة والرفق.

وقد قرر القرآن الكريم أن الإصلاح يبدأ من داخل الإنسان، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وهي قاعدة تؤكد أن رفعة المجتمعات لا تنفصل عن إصلاح وعي أفرادها وسلوكهم. كما

حَثَّ عَلَى التَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا

بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، فليس الوعي مسؤولية فردية منعزلة، بل هو أمانة متبادلة يتعاون فيها الناس على نشر المعرفة الصحيحة، والنصح، ومقاومة الخطأ، والثبات على الحق دون اندفاع أو تعصب.

وفي السنة النبوية تأكيدٌ لهذه المسؤولية، قال رسول الله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» [رواه مسلم]، والنصيحة تقتضي إرادة الخير للناس، وإرشادهم إلى الصواب، وتصحيح أخطائهم بأسلوب يجمع بين وضوح الحق وحسن الخطاب، وقال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ» [رواه مسلم]، ويدل الحديث على مشروعية مقاومة الخطأ بحسب الاستطاعة، مع مراعاة القدرة والضوابط الشرعية، وتجنب أن يؤدي الإنكار إلى منكر أكبر أو مفسدة أشد.

وتتجلى مسؤولية الفرد بشأن تحقيق الأمن الفكري من خلال إجراءات عملية، من أهمها: طلب العلم من مصادره الموثوقة، والرجوع إلى أهل الاختصاص فيما يجهله من القضايا الدينية والفكرية، والتثبت قبل النشر والتعليق، وعدم تداول الأخبار أو المقاطع التي تثير الفتنة قبل التحقق من صحتها وسياقها، وضبط اللسان، والابتعاد عن السب والسخرية والتكفير والتحريض على الآخرين، واحترام المخالف ومناقشة الأفكار بالدليل،

والتمييز بين نقد الرأي والإساءة إلى صاحبه، والمبادرة إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة بالحكمة والرفق، وتجنب التشهير والإحراج والتعامل المتعالي، وتعزيز الانتماء الإيجابي بالمشاركة في خدمة المجتمع، واحترام الحقوق، والمحافظة على الممتلكات العامة، والإسهام في نشر ثقافة التعاون والمسؤولية، وأن يكون قدوة في الوعي والسلوك، فلا يكتفي بالدعوة إلى الثبوت وهو ينشر الشائعات، ولا يدعو إلى الحوار وهو يمارس التعصب والإقصاء.

وبذلك يصبح الفرد عنصرًا فاعلاً في تحقيق الأمن الفكري؛ يزن ما يسمع بميزان العلم، وما يقول بميزان المسؤولية، وما ينشر بميزان المصلحة العامة. فالمجتمع الواعي لا تُصان عقول أبنائه بالمنع وحده، وإنما تُصان ببناء ملكة التفكير، وترسيخ أخلاق الحوار، وتعظيم قيمة الحقيقة، وتحويل الوعي إلى سلوك يومي يحفظ للإنسان كرامته، وللمجتمع تماسكه، وللوطن أمنه واستقراره.



مراجع للاستزادة:

❖ استراتيجية الوسطية والأمن الفكري في علاج نزعات التكفير، الأمن، مجموعة

مقالات على منصة وزارة الأوقاف الإلكترونية.